المدرهة بين الشجى والشجن

□عرف الإمام الموسوعي / نشوان بن سعيد الحميري في الجزء الرابع من موسوعته الشهيرة شمس العلوم" ص (٢٠٦٩)المدرة: بأنه لسان القوم والمتكلم عنهم .. ومن هنا ندرك أن اسم المدرهه مشتق من " المدرة" وان التسمية" المدرهه" تسمية عربية فصحى،إذ أن من يطلع عليها لا بد وان ينشد (بصوت عال) الأناشيد الحافلة بالشوق للحبيب الغائب،وان يشعر بالقلق النفسي وبالخوف من المجهول.

بقلم": علي صالح الجمرة

وهي قديمة فقد ذكرها البهاء الكندي في كتابه " السلوك" الجزء الأول ص(٥١٠) بقوله (وسننقل قوله بتصرف) : وفي تلك السنة (يقصد بها سنة ٥٦٩هـ) حج المظفر (الملك السلطان المظفر الرسولي علي بن عمر)،وعمل الجزري (وكان متولياً على عدن) مدرهه كما عمل غالب أعيان عدن .. شيء يعتاد أهل اليمن عمله لمن حج أول حجة،وعند نصبها إذا كانت لرجل ذي رئاسة، قام الشعراء بأشعار يمدحون من عملها ومن عملت له.

وأيضاً ذكرها الرازي في كتابه "تاريخ صنعاء" تحقيق د/ حسين عبد الله العمري ص(١٦٥) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استدعى عامل اليمن يعلى بن أمية لإنصاف من شكاه،وأمره أن يأتيه من صنعاء ماشيا.. فلما سار ميلا إذ لقيه بريد بموت عمر واستخلاف عثمان وإثباته على عمله،فرجع.. فيقال أنه استقبله أهل اللهو واللعب ودخل صنعاء فرحا مسروراً وذكر أن نساءه احجرن في منزله ودوره.

ولا تزال عادة نصب المدرهه شائعة في صنعاء وخاصة في موسم الحج .. إذ كان فيما سبق الرحيل من اليمن إلى مكة للحج أمراً شاقاً ومحفوفا بالمخاطر.. فكم كانت تعاني قوافل الحجاج بعد خروجهم من اليمن من أهوال غارات قطاع الطرق،فضلاً عن صعوبة ومشاق السفر في الطريق المليئة بالأشواك والصخور والوحوش والزواحف ،وغيرها من الآفات والمصاعب.

ولهذا كان المعتزمون على أداء هذه الفريضة يقدمون عليها بكثير من التهيب والتوجس، وهو ما جعلهم يتجمعون في نقاط معينة ليكونوا في صحبة أمير الحج،وقد تولى الملك علي بن محمد الصليحي إمارة الحج اليماني ومن إليهم من حجاج عمان والهند وشرق أفريقيا لمدة خمسة عشر سنة قبل أن يتولى حكم اليمن .. وكانت تلك السنوات خير إشهار له ولقيادته الحكيمة والشجاعة، وكانت كفيلة بنشر اسمه وسمعته في كافة أنحاء اليمن وعمان،ومع ذلك فإنه لم يسلم من القتل من قبل جياش الحبشي والمتآمرين معه عام ٤٥٤هـ.. وهو في طريقه للحج ثم إلى مصر.

وبمقدار ما كانت هذه الرحلات الطويلة تثيره في نفوس المرتحلين من الترقبات والمخاوف،كانت أيضاً تخلف في نفوس الأهل والاقارب من الحزن والقلق والأشجان ما لا يزيد عليه..

ولهذا كانت هذه المدة التي تتراوح بين ثلاثة واربعة أشهر من كل عام ،فترة مثيرة حافلة بالشوق الديني والقلق النفسي وبالتوقعات المبهمة والانتظار المشوب بالتوجس ومرارة الهواجس الحزينة،ومن ثم أنتجت ظروف هذه المدة الجياشة عبر الزمن فنونا من الأدب الشعبي كالحكايات (الحواديت) والاهازيج والأغاني والعادات الشعبية التي تعود إلى أبعاد زمنية ضاربة الجذور في القدم وفي التغلغل المكاني في الأرض والمجتمع.

وكما يقول الأستاذ مطهر الإرياني في كتابه المعجم اليمني في اللغة والتراث في ص٢٨٨- ٢٨٩: ومن هذه العادات المقرونة بالفن الإبداعي من شعر وألحان وأغان،كانت ظاهرة (المدرهه) واحتفالاتها وأغانيها.. فما كانت مواكب الحجاج تغيب عن أنظار الأهل حتى تبدأ الأسر،وخاصة في صنعاء وما حولها، في نصب المدرهه إما داخل البيوت أو في حدائقها وما يحيط بها أو يقع بالقرب منها من ساحات وباحات..

وكانت حبال هذه الأرجوحة (المدرهه) تختار من أقوى الحبال وأمتنها ،وكثيرا ما تكون من سلاسل الحديد الكبيرة التي تسمى (السرات) جمع (سره) ..حيث كان الاعتقاد أنه إذا انقطعت (المدرهه) إثناء التمدره عليها،فإن ذلك نذير شؤم بالنسبة للحجاج الذين يتأرجح المتأرجحون على تلك المدرهه باسمهم ومن أجل سلامتهم وعودتهم إلى أهلهم بالصحة والعافية والسلامة..

ويظل الرجل والنساء – بدرجة أكثر- والأطفال أيضا،يتناوبون التأرجح على تلك المدارة وهم يغنون الأغاني الخاصة بهم طوال النهار وردحاً من أول الليل...

وأغاني المدرهة حزينة في الغالب،وتغني بأبيات عفوية ومحفوظات أدبية معظمها على (بحر الرجز) وهي تبدأ بذكر الله سبحانه وبالصلاة والسلام على رسوله الكريم،ثم بذكر الحجاج والدعاء لهم بالحج المبرور والسعي المشكور والذنب المغفور،ثم الدعاء لهم بالحفظ والحماية وسلامة العودة إلى الأهل والوطن،ثم تنتقل في الغالب إلى حديث الفراق وتباعد الأحبة،وحرارة الأشواق ولهفة الحنين .. الخ.

ويستطرد الأستاذ مطهر الارياني فيقول: ومن احسن ما سمعت في صنعاء قول إحداهن:

معي شجن سار اليمن معي شجن سار الشام
معي شجن تحت الصلال طالت عليه الأيام

وهذه المتمدرهة تحن لفراق ثلاثة من الأحبة الغائبين،أما أولهم فإنه شجن من أشجانها وقد توجه في رحيله جنوبا ولعله كان موظفا ممن يرسلون من صنعاء إلى الجنوب وسائر أنحاء اليمن(معي شجن سار اليمن) وأما شجنها الثاني فلقد ارتحل شمالا وهذا هو الحاج من أقاربها في ذلك الموسم (معي شجن سار الشام) .. وأما الثالث فإنه شجن لا أمل لها ولا له بالعودة فرحلته كانت رحلة الأبدية لأنه ميت مدفون تحت حجارة الصلال التي أهيل عليه من فوقها التراب وقد طالت به الرحلة ومرت عليه الأيام (معي شجن تحت الصلال.. طالت عليه الأيام) .. فيا لها من متمدرهة ذات أشجان..

وأظن أن السر النفسي والباعث العقلي والفكري لنصب المدرهه في هذه المناسبة إنما جاء من كون كل أرجوحة معلقة في الهواء لها قانون يحكمها،فلها ذهاب إلى الأمام وعودة إلى الخلف،إذا كان ذهابها إلى الأمام يتم بالإدارة وبالفعل الإنساني الذي هو الدفع باليدين مثل الرحيل للحج الذي يتم بالنية والعزم انطلاقاً من قوة الدافع الديني،فإن أمر عودة المدرهه- والعودة هي هنا شجن المتمدرهين وشاغلهم – وهي أمر قدري حتمي لابد من حدوثه بقوته الذاتية،أو بقوة قانونه العلمي المرسوم،والذي يحكم على الجسم المعلق أنه إذا مال عن مركز تعامده بقوة دافع ما أصبح عليه العودة تلقائيا إلى الوراء ثم إلى الأمام وهكذا حتى يستقر إلى وضع تعامده على مركزه،ومركز تعامد الحاج وكل مفارق لأهله ،هو وطنه وبيته بين أهله ومحبيه.

وبذلك يتفاءلون بعودة الحجاج على هذا النحو المحتم،ومن هنا أيضا يأتي تشاؤمهم من انقطاع حبل المدرهه أو سلسلتها الحديدية ،لما ينذرهم به ذلك من مهالك قد يتعرض لها حجاجهم".

وعموما فقد مضى ذلك العصر بخيره وشره، لكننا أردنا أن نثبت عمق المعاناة التي كان يعيشها من يذهب إلى الحج،وما يعانيه أهله وذووه ومحبوه من آلام ومخاوف ..وكيف أخترع اليمانيون فكرة المدرهه لتكون سلوه يتسلى بها أهل الحاج المسافر إلى بيت الله الحرام ويتسلى معهم جيرانهم ومحبيهم .. ومن خلال نصوص وألحان المدرهه ندرك عظمة هذه الآلة الجميلة التي يتسلى بها الجميع ..

الوجه الآخر للإنترنت

د/عبد الله علي الفضلي

● إن لكل شيء في حياتنا جانبين أو وجهين،وجه مشرق .. ووجه مظلم .. فحينما تتغلب النواحي أو الأوجه المظلمة تصبح هي المسيطرة على كل شيء،ومن ثم تختفي الجوانب المشرقة وتتلاشى كما يتلاشى القمر كلما أقترب الشهر من نهايته ويصبح السائد هو الشر والشرر والوجه القبيح بدلاً من الوجه المشرق.

● فبقدر فرحتنا وسرورنا وانبهارنا واندهاشنا منذ الوهلة الأولى لظهور شبكة الإنترنت العالمية وما قدمته للبشرية من خدمات معلوماتية وطفرات علمية غير مسبوقة وما تنقله من معلومات من أطراف الأرض إلى داخل الشاشة الفضية في مكتبك أو منزلك في ثوان معدودة وكيف قربت المسافات بين أقطار الكرة الأرضية واختصرت الزمن في وصول المعلومات إليك من شهور وأسابيع أيام وساعات إلى ثوان في إيصال الخبر الهام ونشره وانتشاره ،وكيف أن شبكة الإنترنت سهلت للباحثين ويسرت للعلماء في كل بقاع الأرض الحصول على أحدث المعلومات في مجالات تخصصاتهم عبر تصفحهم للأبحاث المنشورة في المجلات والنشرات والدوريات العلمية فور صدورها في أي مكان في العالم،وكيف أن شبكة الإنترنت قد أسهمت في التواصل بين البشر عبر القارات سواء لمناقشة الأبحاث والنظريات العلمية أو إجراء العمليات الجراحية بالمشاركة عن بعد أو إبرام الصفقات التجارية بين الشركات في جميع دول العالم وغيرها من الا بهارات التي قدمتها الإنترنت .

● إلا أن هذه الشبكة قد كشرت عن أنيابها وظهرت على حقيقتها وعبرت عن أهدافها ومراميها الحقيقية التي سيتم الإشارة إليها فيما يلي:-

● وعوداً على بدء فبقدر ما أبهرتنا الإنترنت وأدهشنا عالمها بقدر ما خيبت آمالنا بإطلالتها بالوجه الأسود المظلم وهو ظهور مواقع الإباحة والانحطاط البشري والأخلاقي للإنسان الغربي وما وصلت إليه بعض المجتمعات الغربية من انحطاط في سلوكياتها وأخلاقياتها وتفكيرها . ومن ضمن أهداف هذه المواقع هي القضاء على القيم والأخلاق وتفشي الفساد وإنتشار الرذيل بين الشباب المسلم.

● وأنا هنا في هذه التناولة لم آت بجديد فقد بات ما ذكرته شيئاً مألوفاً وكل من يستخدم شبكة الإنترنت يعرف ذلك جيداً ويدرك أنها من الأشياء المسلم بها.

● أما الجديد الذي يمكن إضافته إلى ما سبق تناوله هو استغلال ملايين الناس من مستخدمي الإنترنت لهذه الشبكة وإستخدام وجهها المعتم،فقد أصبح لكل من هؤلاء موقع يضع فيه ويرسل ما يشاء من معلومات أو صور إلى من يشاء وفي أي مكان في العالم لأغراض وأهداف في نفسه سواء لأغراض شريفة أو أغراض دنيئة وتخريبية لعقول وأفكار الآخرين،وعلى سبيل المثال لا الحصر تلك الفتاوى الدينية وإيراد بعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي محمد صلي الله عليه وسلم سواء من الأقوال أو الأفعال ووضعها على الموقع دون سند أو تواتر أو راوٍ مشهور وإنما يتم وضع تلك الأحاديث بقصد بثها بين الشباب المسلم كي يتأثر بها أو يأخذها على أنها آيات وأحاديث صحيحة والهدف من ذلك كله هو إحداث البلبلة والتشويش وزعزعة الثقة الإيمانية بين الشباب المسلم و التشكيك في عقيدته وإسلامه وبث الفرقة بين المسلمين أينما كانوا.

● ومن أمثلة إساءة استخدام شبكة الإنترنت هو ذلك الكم الهائل من المعلومات المنشورة إلكترونيا بقصد التضليل والمغالطة و المبالغة والدعاية لخدمة أغراض معينة أو أهداف محددة كي يتأثر بها الناس على أنها حقائق مسلم بها وما على الآخرين إلا التسليم بصدقها.

● نعم لقد أصبحت شبكة الإنترنت أكثر فائدة للبشرية وأكثر نفعاً ولكن إضرارها أكثر من نفعها.

● فقد باتت الإنترنت تستخدم كأداة ووسيلة للحرب الإعلامية الإلكترونية السرية بين الدول والشعوب والأحزاب والجماعات المتناحرة وكل يضع ما يشاء من معلومات أو بيانات أو صور أو تفاهات أو خرافات أو هرطقات وخزعبلات على أي موقع يشاء .

● كما أصبحت شبكة الإنترنت تستخدم كوسيلة للتنابز وبث الأحقاد بين الجماعات المتباينة وأصبح كل فريق ينشر آراءه وأفكاره وحججه ونظرياته عبر الشبكة ليدحض بها حجج وأفكار الآخرين.

● وليس هذا فحسب فقد باتت شبكة الإنترنت وسيلة إعلامية سرية ينقل الفرد عبرها ما يشاء من معلومات يهاجم بها من يشاء من خصومه أو من الرؤساء والملوك والمسئولين والتهجم عليهم وعلى العلماء الذين يختلفون معهم في الأفكار والرؤى وغيرهم من الأشخاص المستهدفين وذلك بعيداً عن الرقابة أو الملاحقة القضائية والجنح والطعون القانونية.

● وخلاصة القول أن شبكة للإنترنت قد انحرفت عن مسارها الأخباري الإعلامي العلمي السريع إلى مسارات أكثر تطرفاً وأكثر فجاجة ووقاحة وتحولت من أداة وخدمة إعلامية وعملية للبشرية إلى أداة لهدم القيم وهتك الأعراض وإثارة الفتن و انتشار الدجل والكذب والنصب والاحتيال عبر هذه الشبكة؟؟

ص- ب- ١١٢٧٧ صنعاء

E-mail:aafadhli@ yahoo.com.

لماذا نتكلم كثيراً ولا نعمل كذلك؟

محمد أحمد سنان

□ تعتبر القراءة المنفذ الوحيد للدخول إلى عالم المعرفة الواسعة مصداقاً لقوله تعالى : «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون».

إن التعليم اليوم في الأقطار العربية بدون هوية ولا معرفة ولا ثقافة ولا قيمة نظراً لتدني مستواه ومستوى القائمين عليه، وما يميزنا أننا نقول ما لا نفعل «كبر مقتاً عند الله أن تقولون ما لا تفعلون»، لقد أصبحت مدارسنا وجامعاتنا تخرج أفواجاً من الكتبة تشبه الأميين، والسبب أننا نسير بدون هدف نضعه أمامنا بعكس الغربيين والأمريكان، فإن هدفهم الأساسي هو القراءة في شتى صنوف المعرفة، فيقرأون أينما وجدوا في المدرسة والسيارة والطيارة والباخرة، أي أنهم يمارسون هذه الهواية براً وبحراً وجواً لا يهدرون وقتهم دون الاهتمام بالقراءة، ولأن تعليمهم يغذيهم ويحبب لهم القراءة حتى أصبح لديهم نوع من الإدمان عليها، أما نحن ومنذ (١٤٣٥) سنة لم نعط قيمة عظيمة للتوجيه الإلهي الذي وجه به سيد البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما نزل عليه الوحي «اقرأ» ولهذا السبب بقينا ولا نزال متخلفين في الوقت الذي وصل إليه غيرنا إلى درجة من الرقي والتقدم، وصدق حافظ إبراهيم حيث يقول :

أرى لرجال الغرب عز ومنعة
وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا
فياليتكم تأتون بالكلمات

وهكذا هو حال التعليم العام، حيث يدفع بمجاميع شبه أميين إلى مختلف الجامعات والكليات يتخرجون منها كما دخلوها، وأجزم أن الأمة لن تنهض إذا لم تصلح التعليم، وإذا كان البعض يدعي أننا نسير في طريق التحديث والتنمية البشرية والاقتصادية فلابد للعلم والتكنولوجيا أن يكون لهما دورهما المميز لتطوير المجتمع بشكل علمي وتربوي لنعمل على تقليص الفجوة بيننا وبين الأمم المتقدمة الأخرى، ويظهر هذا التوجه جسامة المسؤولية الملقاة على وزارة التربية والتعليم والجامعات في إعداد رجال الغد الذين يبنون مجتمع المستقبل بالعلم والمعرفة ويطوعون التكنولوجيا لخدمة الإنسان في كل المجالات وأهمها الطب والهندسة والزراعة وسائر العلوم الحديثة، وما سيل المعرفة المتدفق إلاَّ دليل اهتمام كل الأمم بالتعليم الحديث كعلوم الفضاء والحاسوب والهندسة الوراثية، كل هذه العلوم تتطور بشكل مذهل، وكلما تطور العلم تزايدت لدينا أعداد العاطلين واختفاء المبدعين في جميع مراحل التعليم والجامعات تخرج أفواجاً من غير القادرين على المنافسة في سوق العمل، لأن دور الجامعات في الأمم المتقدمة هو المشاركة في رسم الخطط المستقبلية واستقطاب الكفاءات القادرة على تنفيذها، وقد مضى علينا فترة طويلة ونحن نمسك بالمركز الأخير بالنسبة للبحوث وتطوير التعليم وأصبحت بلداننا مناطق استهلاكية لمنتجات الأمم المتقدمة، ولا يمكن أن ننال الاحترام إلاَّ بالعلم والمعرفة والمنافسة التي تمكننا من القدرة على الاستمرار بالتقدم نحو الأفضل، لأن العدو الذي يواجهنا يتسلح بنفس السلاح، وهذا ما يجب أن يدفعنا إلى احتضان المبدعين وتقديم التسهيلات لهم واستثمار إمكانياتهم بطريقة صحيحة.

إن من لا يتسلح بالعلم والمعرفة سيجد نفسه في الدرك الأسفل وسيزيد تخلفه عمقاً لأطول فترة ممكنة، وهذا ما يخطط له أعداء أمتنا، وللرد نرى الإسراع في عملية التكامل بين الأقطار العربية والإسلامية، وسيبقى الأمل قائماً إذا شمرنا من سواعدنا واستعدنا ثقتنا بأنفسنا وأخلصنا النية، لأن القادم سيكون أعظم مما فات وما نحن عليه اليوم، حيث تلد الأيام كل ما هو غريب، وعلينا استيعاب العبر والدروس واضعين الخطط والبرامج لأجندتنا التي نواجه بها الآخرين ولنقتدي بشعوب ماليزيا واليابان وكوريا والصين، حيث عملوا بأمانة وهمة حتى وصلوا إلى ما هم عليه، والمحزن أن لدينا كل المقومات التي تضعنا في منزلة محترمة بين الأمم، فنمتلك الثروات والعقول التي تهاجر إلى أوروبا وأمريكا، كما أننا أصحاب رسالة، وكل هذا يساعدنا على التقدم بثبات، وإذا كنا قد بلينا في الشرق الأوسط بقضية الصراع العربي – الإسرائيلي، فينبغي أن نتخذ منها حافزاً ودافعاً للعمل بجدية لتغيير الواقع المرير، وما أكثر الكتابات والمبالغات في الإنجازات حتى نتخيل أننا أكثر تقدماً من أوروبا وأمريكا، وبالنظر إلى كل المعطيات على الأرض فإن كل تلك المبالغات تصبح أكاذيب لا قيمة لها ونتساءل جميعاً : ما سر نهضة وتقدم الأمم الأخرى؟ وما سبب تخلفنا؟ عندها يمكن لنا أن نضع أقدامنا على بداية الطريق وما التغيير السريع اليوم الذي يرفع أفراداً وشعوباً وأمماً إلاَّ نحن، فإن هذا يزيدنا ضياعاً وشعوبنا تخلفاً، ولهذا لابد من الوقوف عنده بجدية، لأن السبب الرئيسي هو انعدام فاعلية الفرد والمجتمع وعدم تطابق القول مع الفعل فتزداد الهوة اتساعاً بيننا وبينهم، ونحن لا نشجع الأنظمة والقوانين المؤدية إلى نهضة الأمة وإبعادها عن التخلف، وإنما نكتفي بالحديث النظري الذي يملأ صفحات صحفنا، أما الحديث العملي الصادق فتعترضه المعوقات والتبريرات الواهية مثل شحة الإمكانيات، وهي أضحوكة تنطلي علينا بسهولة، فأين العقلاء والحكماء في الأمة؟ وما التخطيط الموجود في الصحف إلاَّ بغرض امتصاص قدر كبير من المال، وفي حقيقة الأمر فهو يشبه السراب «يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً».

إننا نصور واقعنا كما نريد لا كما ينبغي، ولا نعترف بالواقع، ونحن بحاجة إلى تغيير الإنسان من أجل الإنسان بواسطة نخب أمينة وصادقة تمتلك الشجاعة والاستعداد للتضحية بمصالحها لتأمين مستقبل أفضل للجميع، ولابد من تعليم الإنسان وتربيته على هذا السلوك ليعرف واجبه تجاه نفسه وأمته ووطنه ومجتمعه فنجند كل الجهود على كل المستويات والهيئات وفي مقدمتها التعليم العام والجامعي، وإذا لم نكن كذلك فلا نستطيع ركوب الخيل لنبدأ المسير أو نكون كمن يعمل أحسن طريق ويحضر لها أحسن عربة وأسوأ سائق، أو أن يكون لدينا مؤسسات تعليمية متكاملة لكنها تفتقر إلى من يديرها بشكل صحيح، فلا يجوز أن نقتل طموح أبنائنا، وعلينا أن نعلمهم أهمية الزمن لينطلقوا إلى المستقبل بثقة وهمة عاليتين تاركين خلفهم الفكر البليد، وألاَّ نلومهم، وإنما نحاسب أنفسنا ماذا قدمنا لهم، لأننا نقدم لهم أسوأ تعليم وتطبيب وبإجماع الغالبية إلاَّ المزايدين الذين لا هم لهم سوى نهب أموال الأمة هم من سيقول عكس هذا والكل يعرفهم حق المعرفة، وبما أننا نطالب بنجاح هذا الجيل فينبغي أن نلبي احتياجاته الأساسية وعلى رأسها التعليم الجيد والفاعل.

إن الإنسان العربي اليوم يقف مشدوهاً أمام ما يراه من تقدم ومخترعات تملأ الدنيا وهو لا يقدم ولا يؤخر، ونريده أن ينطق بلغة الفاعل لا المفعول، كما أن مهمة التعليم صياغة عقول الشباب وتدريبها على العالمية بعد تقارب الزمان والمكان، وأن نصون هويتنا و نحدد أهدافنا دون إضاعة للوقت والجهد والمال، إننا نمتلك الكثير من مقومات النجاح والتقدم، ولكننا لا نحسن استخدامها، فالخريجون في أوروبا وأمريكا لديهم الوظائف الكافية بالرغم من التقدم التكنولوجي، ولدينا عكسهم تماماً، لأننا لم نعد أبناءنا علمياً ولا خلاف بيننا وبينهم، فلهم عقول ولنا كذلك، والفارق هو حبهم للعمل واستخدامهم لعقولهم في ما يفيدهم، أما نحن فنحافظ على التخلف بكل أنواعه، ونهتم بما لا يهتمون به ونتمنى صحوة تزيل هذا الركام من التخلف، ولن يكون ذلك إلاَّ الإنسان الذي يجهز الحلول لكل ما يقابله من إشكالات، والوصول إلى الحقائق ليس بالشيء المستحيل، بدليل ما نشاهده في الأسواق من منتجات ومخترعات نقلت الإنسانية نقلة نوعية متميزة إلى الأمام، فهل من صنع هذه المنتجات هم شياطين أم أناس لهم عقول ومن فصيلة بني آدم ولكنهم يعملون بإخلاص وإتقان لمهنهم، أكرمهم الله تعالى بعقول نيرة استخدموها استخداماً صحيحاً وتأملوا كثيراً في ملكوت الله الواسع، وهذا التوجه هو لب دعوة ديننا الحنيف، ومع هذا لا زلنا نعيش في غيبوبة، الله وحده يعلم متى سنخرج منها، فلنبحث عن الحقيقة ونشمر السواعد بإخلاص ونلحق من سبقونا، ويمكن تصنيف الناس على النحو التالي : هناك من لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم، وآخر لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم، فالأول مكابر والثاني جاهل، وينطبق عليهم المثل القائل :

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

هذا واقعنا المعاش، العارف يحارب الحقيقة بجهل وتكبر وغطرسة وعناد ويصم أذنيه ويستميت بالمحاربة بكل قوته، ومع هذا لا يتمكن من حجب الحقيقة وتجاهلها، وهذا الصنف لديه مرض في العقل والمزاج، وللأسف هم حثالة المجتمع الذين لا همّ لهم سوى الهدم وأمرهم واضح لكل ذي بصيرة سوية، أما الفئة الأخرى فيحاربون كل شيء جميل بكبرياء، وبالذات أصحاب العقول النيرة التي تهدف إلى خدمة المجتمع وتعمل جاهدة على النهوض به وتصويب أخطائه، وللعلم فإن المخلصين كثر في كافة الأقطار العربية، ولله الحمد، وما ينقصهم هو تهيئة البيئة المناسبة يمكن للمجتمع توفيرها لينطلق الجميع أولاً لمحاربة النفس الأمارة بالسوء ومن ثم تغيير التفكير والوقوف بحزم أمام من يهدمون الأعمال الخيرة والقيم والمثل العليا ومن يتحدثون بما لا يفهمون والمتسترون خلف بريق الشهادات التي تستخدم كحائط للوجاهة تخفي وراءها العقول الفارغة التي لم تقدم للوطن شيئاً يذكر، ومن حق من ينجزون البرامج الفعالة ويخدمون الوطن بصمت أن يحتضنهم الوطن، لأن التفريط بهم خسارة لا تعوض، وما نجاح الغربيين والأمريكان إلاَّ لأنهم يوفرون البيئة المناسبة للمبدعين والمتمثلة بالأمان النفسي والمالي.

وفي الأخير أقول لا طريق سوى تحسين التعليم وتقديمه لأبنائنا بشكل أكثر فاعلية، لأنهم يولدون على الفطرة، وهم عبارة عن صفحة بيضاء وبحاجة إلى يد حانية تمتد إليهم لتصيغ عقولهم وتشكلهم بطريقة سليمة يشترك فيها كافة أفراد الأسرة والمعلم على حد سواء، بنفس صافية، لأنهم يريدون من يعلمهم سمو الخلق والحلم ويرتقي بهم إلى المستويات العليا، متحلين بالمثل والقيم، وبعد هذا ننتظر الثمار الطيبة منهم لأمتهم، فهم كالزهور تنتظر الماء والشمس المشرقة والتربة الخصبة وحسن التعامل بدون سخرية وعدم تركهم فريسة سهلة لرفاق السوء، وللعلم فإن هناك بلداناً تعد مناهج لأولياء الأمور تعرفهم بالطرق السليمة لمساعدة أبنائهم على المذاكرة والتحصيل، فأين نحن منهم؟

اللهم اشهد، والله الهادي إلى سواء السبيل.

آفاق

بانتظار ما لا يجيء!

■ صديق مرهف في درجة عالية من المسئولية، يتداوى بالأدب، ويبحر بالثقافة، ويحارب مع المحاربين ضد خفافيش الظلام التي تعشق العتمة وتكره النور وتعكر صفو الحياة، أرسل إلي رسالة بالتلفون مع اقتراب الفجر يقول فيها:

((فؤادي بانتظار مالا يجيء، قلبي ساهد وروحي شاردة.. لا أعرف كيف غفلت الخنازير البرية عنا طوال سنة هي الأحلى بين سني أعمارنا، كأننا خطفنا تلك الساعات الرائعة من براثن النكد وأنياب الحسد، وتربص الصديق، شقشق الفجر أجفان الدجى، ولا أعرف كيف يمكن أن يمر يوم دون أن أسمع رهام صوتك وهديل أشجانك! أما أنا فقد بح صوتي وأنا أصرخ في كل شيء كي يتسلم كل ذي حق حقه قبل العيد. أي عالم هذا محشور في إبط موظف لا يبالي في وزارة المالية؟))

كان الفجر يوشك أن يتنفس، والبحر لم ينم بعد، فهو يهدهد نفسه منذ أيام دون جدوى، وأنا أصغي إليه بمحبة تدرك معاناته وتتفهم آلامه، ومن بعيد كانت سفينة مشتاقة تطلق أبواقها إيذاناً بالوصول أو الرحيل فلم أعد أميز:

وسواءٌ صوت النعي إذا قبس بصوت البشير في كل ناد

معاناة صديقي الذي لم ينم هو الآخر كما هو حال البحر في عدن جاءت موشاة بزهو الإنجاز الذي يتعلق به صناع الحياة ويشقى به العقيمون، وهل يخلو إنجاز من مرارة، ألسنا إذا أفرطنا في الضحك والسرور قلنا: اللهم أجعله خيراً.

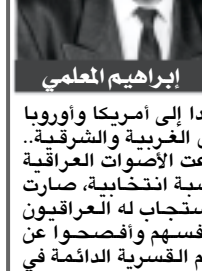

فضل النقيب

قرب السفن الراسية كان سرب من النوارس البيضاء يؤدي رقصة الموج وهو يبحث عن غذائه وإنجاز يومه، ثم يحلق عالياً تحيةً للسفن والشمس البازغة، وهاهي أجنحته البيضاء الفتية تتماهى مع السحب البيضاء المحلاة بقليل من الدكنة التي تجري وراءها، أحياناً على أطرافها وأحيانا تخترقها، فيما طائرة من صنع البشر تهبط من عليائها رويداً رويدا استعداداً للهبوط في المطار القريب، في لوحة لا أحلى ولا أجمل في هذا الصباح.

تمنيت لو أن صديقي معي نسند ظهرينا وهمومنا إلى ظهر الجبل، نبحر بعيداً مع الأمواج ونصفق مع النوارس البيضاء في إجازة مفتوحة يزهر فيها الشعر وأقمار الليالي:

يا حبيبي أي عيد أي سعد سوف تبقى هذه الليلة عندي
عندنا ورد حكى رقة خد ومدام أشبهت فرحة وعد

أيها الصديق العزيز: كان أستاذنا الشاعر الراحل محمد سعيد جرادة الذي استشهدت بالبيتين أعلاه من شعره اللذين غناهما فنان اليمن الكبير محمد مرشد ناجي يستقطر الفرح القليل من غابات المرارة ليمنح الناس مذاقاً بهيجاً للعيد نفسه الذي تحاول أنت أن يكون للناس جميعاً، وللأطفال على وجه الخصوص.

سيجيء مالا يجيء، ما دام البحر يهدي أنسامه إلى الجميع، والشمس تضيء شموع المحبة حتى في جلاميد القلوب، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الماء، وأن منها لما يتصدع من خشية الله.

أما عن السنة الأحلى، فإن أجمل أيامنا لم نعشها بعد كما يقول ناظم حكمت، ومع ذلك نظل أسرى أبي محسد، أبو الطيب المتنبي:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيد دونها بيد

وجهة نظر

نداء الوطن العراقي

إبراهيم المعلمي

● **من استراليا إلى كندا إلى أمريكا وأوروبا وأفريقيا وكل بقاع الأرض الغربية والشرقية.. الشمالية والجنوبية، تداعت الأصوات العراقية لتعلن عن نفسها في مناسبة انتخابية، صارت بمثابة نداء الوطن الذي استجاب له العراقيون وكشفوا من خلاله عن أنفسهم وأفصحوا عن أسمائهم ومواقع إقامتهم القسرية الدائمة في بلدان المهجر.**

● وهذه الاستجابة لا تعني أن الجميع على استعداد ليبصم للأوضاع الجديدة أو ليعلن موافقته ويبدي رضاه لما يجري على أرض الوطن العراقي، كما أنها أيضاً ليست دليلاً على الإقبال للمشاركة في الانتخابات التي يرى الكثير من أبناء الشعب العراقي في الداخل أو في الخارج، أنها تفتقر إلى الشرعية في ظل الاحتلال الأجنبي وتحت راية حكومة مؤقتة تستمد صلاحياتها من الخارج ولا تمتلك حق القرار المستقل، بحسب ما تطرحه العديد من الأطراف السياسية وتقر به شخصيات من الحكومة العراقية ذاتها.

● **وأياً كان الأمر، فإن هذه الشرعية من عدمها، ليست هي الموضوع ولسنا من يمنحها أو يحجبها.. والمسألة شأن داخلي يقرره العراقيون أنفسهم.. لكن الشيء الإيجابي المثير هو انعكاسات هذه العملية السياسية وتأثيرها الإيجابي على المستوى الإنساني والجانب الاجتماعي.**

● فقد تسببت الأوضاع السابقة وظروف الحروب التي لم تنته منذ ما يزيد عن ربع قرن من الزمن، إلى نزوح الملايين من العراقيين إلى الخارج وتشتيت كياناتهم الأسرية وطمس هوياتهم الوطنية بفعل الاغتراب الطويل أو للضرورات الأمنية والسياسية.

● **لكن ارتباطهم الفكري والروحي مع الوطن الأم وتفاعلهم الدائم مع ما يجري في بلادهم ومتابعتهم المستمرة لأحوال أهلهم في الداخل، لم تنقطع، ورغم استقرار الكثير منهم في بلدان الاغتراب واندماجهم في المجتمعات الجديدة، إلا أن الحنين الدائم للوطن ظل هاجس الجميع.**

وهو ما يفسر هذا التداعي واسع النطاق لكل العراقيين المهاجرين في أصقاع الأرض لإثبات حضورهم واستعادة حقوقهم وتحمل واجباتهم كمواطنين، بغض النظر عن المناسبة التي أتاحت لهم هذه الفرصة أو نوعية الأحداث والمجريات الدائرة في البلاد التي لا تشكل بالنسبة للكثير منهم أكثر من مرحلة انتقالية أو مدخل للمشاركة في العمل السياسي المستقبلي وفي ظل ظروف صحيحة وغير استثنائية .

almalemi@hotmail.com